

دراسة في سورة بني إسرائيل "الإسراء"
المقدمة والافتتاحية

د / أحمد نصير

نزلت سورة الإسراء في السنة الحادية عشرة من البعثة المحمدية، أي قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بسنة وشهرين ، فهي مكية باتفاق المفسرين ، وسميت بسورة (الإسراء)؛ لأنه ذُكر في فاتحتها حادثة إسراء النبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، كما تسمى سورة (بني إسرائيل)؛ لأنها تحدثت عن إفسادهم في الأرض وعتوهم فيها ، كما تسمى سورة (سبحان)؛ لأنها افتتحت بتسبيح الله سبحانه، وذكر التسبيح فيها في أكثر من آية.

ويلاحظ أن سورة الإسراء هي أكثر سورة ذكر فيها القرآن والكتاب، وفي ذلك دلالة على استشعار قيمة القرآن ، وحادثة الإسراء هي الحادثة الممثلة لانتقال الكتاب إلى أمة محمد ﷺ ، وكأنها تقول لنا: أنتم يا أمة محمد مسؤولون عن هذا الكتاب، عن القرآن ، فاستشعروا قيمته، وإياكم أن تفرطوا فيه كما فعلت الأمم السابقة فيستبدلكم الله كما استبدلهم¹ ، ولذلك قال ابن مسعود في هذه السورة أنها من (العنق الأول ، وهنّ من تلادي)²، (فالعربُ يُجَعَلُ كُلُّ شَيْءٍ بَلَغَ الغَايَةَ فِي الْجُودَةِ عَتِيْقًا)³ ، والمقصود أنها من قديم ما نزل من القرآن، ومن قديم ما حفظه وتعلمه من أول الإسلام ، قال الشيبهري (مِنْ تِلَادِي: حفطي قديماً)⁴ ، و(التَّالِد) : (المال القديم الذي وُلِدَ عندك ، ونقيضه الطارف)⁵ ، قال ابن الجوزي (فالتلید القديم والطريف المستحدث)⁶ ، يقول بدر الدين الحنفي (وأراد بقوله من تلادي أي من محفوظاتي القديمة)⁷ ، شبهة بالتراث والأثر والمال المحفوظ من قديم الزمان لما فيها من فوائد جمة لا يجوز إهمالها ، مثل المال القديم الذي يتوارث زمناً لا يتركه صاحبه ولا خلفه لغلو ثمنه وندرة وجود مثيله ، قال السبتي (ولا وجه لتكرره)⁸.

قال السيوطي (وقد ظهر لي في وجه اتصالها بسورة النحل: أنه سبحانه لما قال في آخر النحل: (إنما جعل السبب على الذين اختلفوا فيه) فسّر في هذه شريعة أهل السبب وشأنهم، فذكر فيها جميع ما شرع لهم في التوراة، كما أخرج ابن جرير عن ابن عباس أنه قال: (التوراة كلها في خمس عشرة آية من سورة بني إسرائيل)⁹ وذكر عصيانهم وفسادهم، وتخريب مسجدهم، ثم ذكر استفزازهم للنبي ﷺ ، وإرادتهم إخراجهم من المدينة ثم ذكر سؤالهم إياه عن الروح، ثم ختم السورة بآيات موسى التسع، وخطابه مع فرعون: وأخبر أن استفزازهم للنبي ﷺ ليخرجوه من المدينة هو وأصحابه كنظير ما وقع لهم مع فرعون لما استفزهم، ووقع ذلك أيضاً ولما كانت هذه السورة مصدرة بقصة تخريب المسجد الأقصى أسرى بالمصطفى إليه ، تشريفاً له بحلول ركابه الشريف ، فله الحمد على ما ألهم¹⁰.

¹ (الكلم الطيب : 8960/item/safahat/kalemtayeb.com/https://

² (رواه البخاري ج14 ص 313 رقم 4339

³ (الدرر السنية : المشرف العام علي بن عبد القادر السقاف

https://dorar.net/hadith/sharh/14240

⁴ (الفجر الساطع على الصحيح الجامع ج6 ص 1

⁵ (النهاية في غريب الأثر ج1 ص 526

- ومنه حديث العباس [فهي لهم تِلَادَةٌ بَالِدَةٌ] يعني الخَلَاقَةُ . وَالتَّالِدُ لِلتَّالِدِ
- ومنه حديث عائشة رضي الله عنها [أنها أَعْتَقَتْ عن أخيها عبد الرحمن تِلَاداً من تِلَادِهَا] فإنه مات في منابه . وفي نسخة تِلَاداً من أتلاده

⁶ (كشف المشكل من حديث الصحيحين ج1 ص 208

⁷ (عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج27 ص 425

⁸ (مشارك الأنوار على صحاح الآثار ج2 ص 66

⁹ (تفسير الطبري ج 17 ص 590

¹⁰ (أسرار ترتيب القرآن ج1 ص 12

مقدمة السورة : تسبيح الله بشأن رحلة الإسراء من الحرام للأقصى

الافتتاحية : علو بني إسرائيل في الأرض مرتين

المحور الأول : القرآن يهدي للتي هي أقوم

المحور الثاني : الوصايا الربانية للأمة المحمدية

المحور الثالث : منهج القرآن في شرح عقيدة التوحيد

المحور الرابع : الخوف من لوازم الإيمان

المحور الخامس : الثبات على الإيمان

المحور السادس : مجادلة الرسول بالباطل

الخاتمة : تسع آيات لبني إسرائيل

(القرآن ، الدعاء ، الصلاة ، التوحيد ، التكبير)

مقدمة سورة الإسراء وافتتاحيتها

قال تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1) وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (2) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (3) وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا (4) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (5) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (7) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (8)

الإسراء رحلة انتقل فيها النبي محمد ﷺ مكانيا بجسده وروحه من مكة (المسجد الحرام تحديدا) إلى المسجد الأقصى في فلسطين بقدرة إلهية في لمح البصر ، مختصرا الزمان ، وتلتها رحلة أخرى وهي العروج به إلى سبع سماوات ثم نزل ، ورجع إلى مكة مرة أخرى ، ولم تستغرق الرحلتين وقتا يذكر حتى أن سريره ﷺ كان لا يزال دافئا حتى عاد إليه ، إشارة إلى أن الرحلة لم تستغرق تقريبا عشرة دقائق .

وهذه الحادثة كان لها وقع على الصحابة ونفوس قريش بين مصدق ومكذب ، فعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ لما كان ليلة أسرى بي وأصبحت بمكة فظعت بأمرى وعرفت ان الناس مكذبي فقعده معتزلا حزينا قال فمر عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزئ هل كان من شيء فقال رسول الله ﷺ نعم قال ما هو قال انه أسرى به الليلة قال إلى أين قال إلى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال فلم ير انه يكذبه مخافة ان يحجده الحديث إذا دعا قومه إليه قال أرايت ان دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني فقال رسول الله ﷺ نعم فقال هيا معشر بني كعب بن لؤي حتى قال فانتفضت إليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا إليهما قال حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله ﷺ إني أسري بي الليلة قالوا إلى أين قلت إلى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا للكذب زعم قالوا وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد فقال رسول الله ﷺ فذهبت أنعت فما زلت أنعت حتى التبس على بعض النعت قال فجاء بالمسجد وأنا أنظر حتى وضع دون دار عقال أو عقيل فنعته وأنا أنظر إليه قال وكان مع هذا نعت لم أحفظه قال فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب¹¹ .

وجاءت الإشارة إلى البركة حول المسجد الأقصى الذي أسري بالنبي محمد ﷺ إليه ، باعتبارها إشارة إلى دماء الشهداء الزكية الذين لا يزالون يقاتلون في سبيل الله وهم ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ،

¹¹ (رواه أحمد بن حنبل ج1 ص 309 رقم 2820 وصححه الألباني : السلسلة الصحيحة ج8 ص 28 ، المجلدات ج7ص22 ، ج20ص22 ، الإسراء والمعراج تأليف الألباني ج1 ص 81 ، 82 ،

ف تلك البقعة التي تميزت بالبركة كما في قوله (الذي باركنا حوله) ، هي مربوط الشهداء ، ينبت فيها شجر الزيتون الذي سقي بدماء المرابطين علي أرضها حتى قيام الساعة .

فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَعُدُوهُمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأَوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ قَالَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ¹²



وقد جاء ذكر موسى مع الكتاب الذي هو التوراة وبيان وظيفته بأنه أنزل لنبي إسرائيل ليكون لهم هدى بمناسبة نهيهم عن أن يتخذوا من دون الله وكليلا ، أي ناهيا لهم عن الشرك بعد استشعار زهو النصر ، وقد ذكرهم بأصل آبائهم ، فقد كانوا أنبياء (إبراهيم واسحق ويعقوب) وكان أسلافهم كذلك مؤمنين ، تلك الطائفة التي نجت مع نوح من الطوفان ، فحري بهم أن يكونوا خير خلف لخير سلف ، ولكن حالهم لم يكن على هذا النحو ، فقد علم الله أنهم سوف يفسدون مرتين ، وفي هاتين المرتين يعلون علوا ظاهرا على الناس جميعا لكن الله كتب أن يضع كل شيء رفعه ، فتكون الكرة عليهم ويمكن الله المؤمنين من دخول المسجد الأقصى منتصرين مثلما دخل نبي الله محمد ﷺ مكة فاتحا ، وقد وعد ، ووعدته حق ، وعدهم بالنصر وأن يهدموا أصنام الشرك ولتعلوا كلمة التوحيد ويكبروا الله ، وما النصر إلا من عند الله .

قوله (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (1) جاء تسبيح الله بمناسبة رحلة الإسراء ، يقول الشعراوي (كأنه سبحانه يقول: نَرَاهُ اللهُ عن مشابجة البشر ، وعن قوانين البشر في هذه المسألة ، لا تستبعد أن يذهب محمد من مكة إلى بيت المقدس ، ثم يصعد إلى السماء ، ويعود في ليلة واحدة ، فلو قست هذه المسألة على قانون البشر فإنه يتعذر فهم ذلك ، وهذا ما

¹² (رواه أحمد ج45 ص 281 رقم 21286 وصححه الألباني : قال الألباني : الحديث بلفظ مطلق دون ذكر الشام ؛ فهو متواتر ، تجد كثير من طرقها وألفاظها مخرجة في الكتاب الآخر : "الصححة" في مواطن عديدة ، فانظر "صحيح الجامع" (7164 - 7173) .

وقال الألباني في السلسلة الصحيحة المجلدات الكاملة ج4 ص 456 رقم 1957 لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك " . قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" 4 / 599 : أخرجه مسلم (52 / 6 - 53) و أبو داود (202 / 2) و الترمذي (36 / 2) و ابن ماجه (464 - 465) و أحمد (278 - 279) و الحاكم أيضا (4 / 449 - 450) من حديث ثوبان مرفوعا . و روى الحديث بزيادة فيه بلفظ : " لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين ، لعدوهم قاهرين لا يضرهم إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك ، قالوا : و أين هم ؟ قال : ببيت المقدس و أكفاف بيت المقدس " . رواه عبد الله بن الإمام أحمد في "المسنند

" (5 / 269) فقال : وجدت في كتاب أبي بخط يده : حدثني مهدي بن جعفر الرملي : حدثنا ضمرة عن الشيباني - و اسمه يحيى بن أبي عمرو - عن عمرو بن عبد الله الحضرمي عن أبي أمامة مرفوعا . و رواه الطبراني في " الكبير " (7643) من طريق أخرى عن ضمرة بن ربيعة به . و هذا سند ضعيف لجهالة عمرو بن عبد الله الحضرمي ، قال الذهبي في " الميزان " : " ما علمت روى عنه سوى يحيى بن أبي عمرو الشيباني " . و ذكره ابن حبان في " الثقات " على قاعدته التي لم يأخذ بها جمهور العلماء و لذلك لم يوثقه الحافظ في " التقريب " و إنما قال : " مقبول " أي لين الحديث . و بقية رجال الإسناد ثقات ، و في " المجمع " (7 / 288) : " رواه عبد الله و جادة عن خط أبيه ، و الطبراني ، و رجاله ثقات " . كذا قال و فيه و ما علمت عن حال الحضرمي .

(تنبيه) الشيباني كذا في " المسند " و " الميزان " بالشين المعجمة و الصواب : الشيباني بالمهملة المفتوحة و سكنون التحتانية بعدها موحدة كما في " التقريب " ، و هكذا وقع في " الطبراني " . و لحديث أبي أمامة شاهد بنحوه رواه الطبراني (20 / 317 - 754) عن مرة البهزي ، قال الهيثمي (7 / 289) : " و فيه جماعة لمأعرفهم " . كذا قال ، و من لم يعرفهم مترجمون في " تاريخ البخاري " و " الجرح والتعديل " لابن أبي حاتم كما حققه صاحبنا الشيخ حمدي السلفي في تعليقه على " المعجم " ، فالصواب أن يقال : " و فيه من لم يوثق ، إلا من ابن حبان ، فإنه وثق أحدهم " . و الله أعلم .

فعله كفار مكة حيث قالوا : كيف ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهراً ، وتدّعي أنك أتيتها في ليلة؟ فقاوسا المسألة والمسافات على قدرتهم هم ، فاستبعدوا ذلك وكذّبوه¹³ .



المسجد الأقصى



المسجد الحرام



ومن جهة أخرى لم تكن رحلة الإسراء مجرد رحلة ترفيهية للنبي محمد ﷺ ، ولا رحلة استكشافية يرى فيها بلادا أخرى ، ولا رحلة تثقيفية يلتقي فيها مع الأنبياء ويصلون معا في المسجد الأقصى يسلمون على بعض ويتعارفون ، وإنما هي رحلة تبصيرية ليريه الله من آياته إنه هو السميع البصير ، هذه الآيات أراد الله تعالى أن يريها لنبيه بعينه رؤيا حقيقية ليصل بهذه الرؤية إلى مرحلة عين اليقين ، فيكون مبلغا عن ربه بما رآه عينيه ، وليس بما أيقنه قلبه وحسب ، فيكون البلاغ أكثر مصداقية .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لَمَّا كَذَّبْتَنِي فُرَيْشٌ - لَمَّا كَذَّبْتَنِي فُرَيْشٌ حِينَ أُسْرِيَ بِي إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ - قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفَّفْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ¹⁴، وهكذا أشار النبي ﷺ في العهد المكي إلى أهمية المسجد الأقصى للمسلمين ، ولم يأمرهم بعد بالصلاة إليه باعتباره أولى القبلتين ، ولكنه سلط الضوء عليه ، ليعلموا أن الله رب العالمين لا يأمرهم بعبادات يأتونها مجردة من مصالح البلاد والعباد ، فهذه البقعة المباركة هي التي سوف تدور عليها أحداث وملاحم كثيرة إلى يوم الدين ، تؤكد أن الإسلام منهج عملي حركي وليس عقائد وعبادات تمارس في الصوامع وحسب ولا شعارات مجردة من حياة الناس ومصالحهم ، قال رسول الله ﷺ (لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)¹⁵، أي غرب الجزيرة العربية حيث ينتشر الإسلام ، ولذلك قيل (هم أهل بيت المقدس)¹⁶.

وسبحان الله أن من جملة الآيات التي رآها النبي ﷺ هو الرشد في الاختيار ، فقد اختار اللبن الذي له دلالة على الفطرة ، ولم يختار الخمر الذي له دلالة على متاع الدنيا عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ (مَنْ شَرِبَ الْخُمْرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْرُهَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ)¹⁷ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِإِيلِيَاءَ بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبَنَ قَالَ جِبْرِيلُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ لَوْ أَخَذْتَ الْخُمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ¹⁸

¹³ (تفسير الشعراوي ج 1 ص 7104)

¹⁴ (رواه البخاري ج 14 ص 317 رقم 4341)

¹⁵ (رواه مسلم ج 10 ص 43 رقم 3551)

¹⁶ (شرح السيوطي على مسلم ج 4 ص 514)

¹⁷ (رواه ابن ماجه ج 10 ص 144 رقم 3364 ومسلم ج 10 ص 264 رقم 3738)

¹⁸ (رواه البخاري ج 14 ص 316 رقم 4340)

كما أنه لما قارب على الموت حَيَّرَ مرة أخرى بين أن يعيش ملكاً في الدنيا خالداً ، وبين أن يلقي ربه ، فاختار لقاء الله ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ حَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ إِنْ يَكُنْ اللَّهُ حَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدُ¹⁹ .

وسبحان الله أن النبي ﷺ رأى في رحلته **جموع الأنبياء** ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٍ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ فَسَأَلْتَنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أَتُبَّهَا فَكُرِهْتُ كُرْبَةً مَا كُرِهْتُ مِثْلَهُ قَطُّ قَالَ فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي فَإِذَا رَجُلٌ ضَرَبَ جَعْدًا كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا غُرُورُهُ بِنِ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ وَإِذَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي أَشَبَّهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ يَغْنِي نَفْسَهُ فَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَأَمْتَهُمْ فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَالِكُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ²⁰ .

قوله (وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً) (2) الإشارة إلى نبي بني إسرائيل في معرض الحديث عن الإسراء لبيت المقدس له دلالة على أن ثمة ملحمة عظيمة سوف تدور أحداثها في هذا المكان بين المسلمين واليهود ، فالنبي ﷺ لما أسري به إلى المسجد الأقصى صعد الله به إلى السماوات ، فرأى في كل سماء نبيا من الأنبياء ، ورأى نبي الله موسى رسول بني إسرائيل في السماء السادسة ، ثم رأى البيت المعمور فوق السماء السابعة ، حتى وصل إلى سدرة المنتهى ، ورأى أثمار الجنة ، حتى إذا وصل إلى هذا المقام فرضت عليه الصلوات الخمس ، ليتلقى هذا الأمر من السماء ولم ينزل له إلى الأرض ، ليعلم الناس جميعاً أهمية الصلاة ومقامها عند الله تعالى ، فلا سبيل لنصر المسلمين على أعدائهم وأشدّهم اليهود والذي أشركوا إلا بالتمسك بحبل الله المتين ، لاسيما وأن الصلاة هي الصلة المباشرة بين العبد وربّه .

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ وَذَكَرَ يَغْنِي رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ فَأَتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَشَقُّوا مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِ الْبُطْنِ ثُمَّ غَسَلُوا الْبُطْنَ بِمَاءٍ زَمْزَمَ ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا وَأَتَيْتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ دُونَ الْبُغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ الْبُرَاقُ فَاَنْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى آدَمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنِ وَنِيِّ فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى عِيسَى وَنِيِّ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخِي وَنِيِّ فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى يُوسُفَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ قَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخِي وَنِيِّ فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قِيلَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخِي

¹⁹ (رواه البخاري ج2 ص 268 رقم 446)
²⁰ (رواه مسلم ج1 ص 403 رقم 251)

وَنَبِيٍّ فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْنَا عَلَى هَارُونَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ فَأَتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْنَا عَلَى مُوسَى فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَى فَقِيلَ مَا أَبْكَاكَ قَالَ يَا رَبِّ هَذَا الْعَلَامُ الَّذِي بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْنَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنٍ وَنَبِيٍّ فَرَفَعَ لِي الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبْهَهَا كَأَنَّهُ قِلَالٌ هَجَرَ وَوَرَفَهَا كَأَنَّهُ أَذَانُ الْقُيُولِ فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَهْأَارٍ هَرَارٍ بَاطِنَانِ وَهَرَارٍ ظَاهِرَانِ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النَّيْلُ وَالْفَرَاتُ ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جِئْتُ مُوسَى فَقَالَ مَا صَنَعْتَ قُلْتُ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً قَالَ أَنَا أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ عَاجَلْتُ نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَاجَلَةِ وَإِنْ أَمَتَكَ لَا تُطِيقُ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلِّمْ فَارْجِعْتُ فَسَأَلْتُهُ فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ ثُمَّ ثَلَاثِينَ ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عَشْرِينَ ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عَشْرًا فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ فَجَعَلَهَا خَمْسًا فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ مَا صَنَعْتَ قُلْتُ جَعَلَهَا خَمْسًا فَقَالَ مِثْلَهُ قُلْتُ سَلَّمْتُ بِخَيْرٍ فَنُودِيَ إِنِّي قَدْ أَمَضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَقْتُ عَنْ عِبَادِي وَأَجْزِي الْحُسْنَةَ عَشْرًا²¹.

ففي قوله (ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) (3) فهؤلاء جميعا الذين يحملون راية هذه الدعوة المباركة هم ذرية المؤمنين الذين حملتهم سفينة نوح عليه السلام ، قال الشنقيطي في هذا تهيج على طاعة الله ، أي (أي يا ذرية من حملنا مع نوح، فنجيناهم من الغرق، تشبهوا بأبيكم، فاشكروا نعمنا)²² ، وأشار إلى هذا المعنى في قوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) [مريم/58] .

فمن الذي كان يصدق أن سفينة في الصحراء سوف يأت طوفان عظيم يحملها ويغرق من حولها ، ثم ينزل المؤمنين من على ظهرها إلى اليابسة وترث ذريتهم الإسلام ، وتلك هي نهاية الملحمة في عهد نبي الله نوح ، وهي بداية الملحمة التي سوف تبدأ أحداثها منذ عهد النبي محمد ﷺ حتى قيام الساعة .



ويشير وصف نبي الله نوح بأنه كان عبدا شكورا إلى فرضية الصلاة ، إذ كيف تتحقق العبودية والشكر لله إلا بالصلاة ، إذ (لا خير في دين ليس فيه صلاة) ، وهكذا ذكر العبودية والشكر مع فرض الصلوات الخمس في رحلة المعراج بعد رحلة الإسراء ، ليتحقق الركن الثاني من أركان هذا الدين ، قال ابن جزري (هذا تعليل لما تقدم أي كونوا شاكرين كما كان أبوكم نوح)²³ .

قوله (وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا) (4) هنا تبدأ الملحمة ، وتدور أحداث القصة ، ليتحقق التنظير التاريخي للحركة الإسلامية ، فمعلوم أن الجهاد في سبيل الله لم يكتب على الناس إلا في العهد الموسوي ، فأمة موسى عليه السلام أول أمة فرض عليها القتال كما في قوله (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) (21) ، وقبل ذلك كان الله يهلك أعداءه بمعجزة كونية كغرق أو خسف أو مسخ .. الخ .

أما الإفساد المقترن بعلو بني إسرائيل علوا كبيرا فقد اختلف العلماء فيه وقت وقوعه ، هل ذلك مما جرى وكان؟ أم مما سوف يحصل آخر الزمان؟²⁴ ، لكن القرائن تؤكد أنه مما أخبر عنه القرآن بأنه سوف يحصل في ظل حياة الأمة المحمدية²⁵ ، بدليل قوله تعالى (وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا) وليس هناك خبر عن النبي ﷺ عن متى يكون هذا الإفساد في الأرض²⁶.

الشواهد والقرائن تؤكد أنه حصل أول مرة ، وقيل أنه حصل في المرتين ، وقد اتفق المفسرون القدامى على أن هاتين المرتين من الإفساد قد وقعتا من بني إسرائيل، ونقل شيخ المفسرين ابن جرير الطبري الإجماع على أن المرة الثانية هي فسادهم الذي وقع فيه قتل النبي يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام؛ وقال ابن تيمية: "كانت الأولى بعد سليمان، وكانت الثانية بعد زكريا ويحيى والمسيح لما قتلوا يحيى بن زكريا الذي يسميه أهل الكتاب يوحنا المعمدان ، .. والمتواتر أن بخت نصر هو الذي قدم في المرة الأولى²⁷" ، "كان ظهور بخت نصر إنما كان لما غيروا عهود موسى وتركوا اتباعه فعوقبوا بذلك وكانوا إذ كانوا متبعين لعهود موسى منصورين مؤيدين كما كانوا في زمن داود وسليمان وغيرهما"²⁸ ، وصحيح ما قال فليس ثمة إفساد في الأرض أشد من تغيير كتاب الله وتحريف الكلم عن موضعه ، وتبديل الدين .

وقيل أنه حصل مرة وسوف يحصل في زمننا ، وقد ذهب بعض المفسرين المعاصرين إلى أن المرة الثانية لم تقع بعد ، ويدل عليه ما سيأتي من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ (الإسراء 8) ، ففيه إشارة إلى أن اليهود ستعود لهم دولة، ويتكرر منهم الإفساد في الأرض، فيعذبهم الله ويهلكهم في الدنيا بأيدي أعدائهم، وإنما ذكر الله تلك المرتين في الكتاب لكونهما إفسادين عظيمين واقعين من بني إسرائيل .

قال الشيخ محمد المنجد (ولو كان في ذكر حادثي الإفساد فائدة لعينيهما رب العالمين ، وإنما القصد الاعتبار ، وما يدل على عدم اعتبار التعيين ما قاله الله تعالى مهدداً لهم بقوله (وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا) ، ويمكن هنا جعل ما حصل لليهود على يد " هتلر " داخلاً تحت هذا التهديد والوعيد

²⁴ برنامج يستقنونك : الحلقة مذاعة بتاريخ 10 جمادى الأولى 1438 هـ أ د خالد بن عبد الله المصلح ، قناة الرسالة

<https://www.youtube.com/watch?v=SHCE5WQfkFE>

²⁵ تفسير الشعراوي لتفسدن في الأرض مرتين ، منشور على اليوتيوب بتاريخ 2017/7/31

<https://www.youtube.com/watch?v=dbvnwW7XXSg>

²⁶ الشيخ مصطفى العدوي : يوتيوب 2020/7/9 مسجد التوحيد بشبرا mostafaaladwy.com

²⁷ (الجواب الصحيح ج6 ص 343

²⁸ (الجواب الصحيح ج6 ص 416

فالعبارة في ذكر ما حصل من بني إسرائيل وما عاقبهم الله تعالى به : تقرير أن الإفساد في الأرض والتكبر على الحق والتجبر على الناس وقهرهم : ستكون عواقبه وخيمة على أصحابه وعلى بلادهم ، وأن التزام شرع الله تعالى وإقامة العدل سيكون له أثره

قال الشيخ صالح الفوزان (هذا وعيد من الله ، كما أنه عاقبهم على المرتين الأوليين ، فهو كذلك سيعاقبهم كلما أفسدوا في الأرض ، إلى آخر الدنيا ، وهذا واقع ومشاهد : أن اليهود ما زالوا يسلط عليهم الجبابة ويسلط عليهم عدوهم كلما حصل منهم علو في الأرض وإفساد في الأرض ، وهذه عقوبة من الله سبحانه وتعالى لهذا الشعب الذي يفسد في الأرض وينشر الفساد فيها ويتكبر على العباد)²⁹.

ويؤكد هذا القول كذلك ما أخبر عنه النبي ﷺ بأن ثمة قتال سوف يحصل مرة أخرى بين المسلمين واليهود عند اقتراب الساعة كما وعد الله فقال (إذا جاء وعد الآخرة) حينها تحدث الملحمة الكبرى ويتنصر المسلمون ثم يتبع اليهود المسيح الدجال ويقتله عيسى بن مريم ، فينشب قتال بين أهل الحق وأهل الشر الذي عليهم تقوم الساعة .

(ويرى البعض أن الإفساد العظيم الحاصل من اليهود في عصرنا الحاضر، ليس حاصلاً من بني إسرائيل، فأكثر اليهود المعاصرين - في ظنه - ليسوا من نسل النبي يعقوب (إسرائيل) بالضرورة ، فكثير منهم أصلهم من الخزر أو الأرمين أو الروس أو الأوربيين وغير ذلك من الأمم، - ولم يجر تحقيق دقيق في هذا الأمر -)³⁰.

وعند التحقيق نجد أن ثمة يهود أصولهم ترجع لبني إسرائيل (مثل يهود السفارديم والأشكناز) يعود جزء من أصولهم الجينية والتاريخية إلى بني إسرائيل القدماء بحسب الدراسات والأنساب ، وهذا لا يمنع كذلك حصول امتزاج بينهم وغيرهم ، إذ دخلت في الديانة اليهودية عبر العصور جماعات وأعراق مختلفة بالاعتناق والتزاوج، مثل " الخزر " وهم مملكة قديماً في آسيا الوسطى وأوروبا الشرقية اعتنق ملكها وأفرادها اليهودية ، وكذلك الجماعات الإفريقية والآسيوية مثل يهود " الفلاشا " في إثيوبيا وغيرهم من الجاليات التي تمازجت مع السكان المحليين في بلدان الشتات)³¹

ويرى البعض كذلك أن كثيراً من اليهود المعاصرين ملاحدة لا يؤمنون أصلاً بالله ولا باليوم الآخر، ولا بالأنبياء، ولا حتى بموسى عليه الصلاة والسلام، وكثير منهم يُصَرِّحون بأنهم علمانيون، وهم في نظر اليهود المتمسكين بدينهم المحرّف مرتدون)³² وهذا القول وبفرض صحته تماماً فهو لا يمنع القول بأن يهود الماضي كيهود الحاضر³³ يحرفون الكلم عن موضعه ، وهم هم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، بدليل أنهم نسبوا لله النقص ، وظنوا أنهم أبناء الله وأحباؤه ، ولم يؤمنوا باليوم الآخر بدليل أنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ، فالإله الذي يؤمنون به غير الإله الذي يؤمن به المسلمون ، واليوم الآخر في تعريفهم غير اليوم الآخر في مفهوم المسلمين ، وكذلك الأنبياء فلم يتركوا نبياً إلا واتهموه

29 ("مجموع فتاوى الشيخ صالح الفوزان " (1 / 156) 9)

30 (د محمد بن علي بن جميل المطري : الخلاصة في تفسير آيات إفساد بني إسرائيل في الأرض مرتين
<https://www.alukah.net/sharia/166024/0/>

31 (يراجع في ذلك مقال د عاصم أحمد دسوقي بعنوان اليهودية : بوزارة الأوقاف المصرية
<https://awkaonline.gov.eg/content-sections/108>

32 (د محمد بن علي بن جميل المطري : الخلاصة في تفسير آيات إفساد بني إسرائيل في الأرض مرتين
<https://www.alukah.net/sharia/166024/0/>

33 (يوجد تحقيق صحفي على قناة الجزيرة مباشرة بعنوان هل اليهود المعاصرون هم أنفسهم "بنو إسرائيل" المذكورون في القرآن

بالفاحشة ، فلا فرق بين يهود اليوم ويهود الماضي ، يقول الشيخ عبد الرشيد صوفي (بعض الموجودين في إسرائيل ربما ينحدرون من بني إسرائيل المذكورين في القرآن، ولكنهم ليسوا بأكثرهم) .

وقد ذكر ابن كثير وغيره من المفسرين مثل الجزائري (أن الخطاب القرآني لبني إسرائيل يشمل ذريتهم في أي زمان، بما في ذلك الموجودون منهم في زمن النبي ﷺ ومن أتوا بعده ومن سيأتون، ما داموا ينسبون أنفسهم إلى هذه السلالة) ، كما أوضح الإمام محمد بن عبد الوهاب أن (الله خاطب اليهود المعاصرين للنبي ﷺ بأفعال آبائهم، فقال لهم (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ)، رغم أنهم لم يكونوا هم الذين نجوا من فرعون، بل آباؤهم. فالعبرة بالنسب والانتماء التاريخي، وليس في الحضور الفعلي للأحداث) ³⁴، فالعبرة في الانتساب بالإدعاء ولو زورا ، أي بالانخراط بينهم ونصرتهم والتحزب لهم ، وليست العبرة بالانتساب البيولوجي كما نفهم ، وهو المعيار الذي اعتمده القرآن لتمييزهم عن غيرهم بقوله (وجعلناكم أكثر نفيرا) ولم يقل أكثر عددا ، بل هم ينفرون من كل شعوب الأرض أناس يشترؤنهم بالمال ويغرونهم بالسلطان ليقدموا العون لهم ماديا وعسكريا ، فيأخذون حكمهم في المعاملة متى ناصروهم تماما بتمام.

قوله (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا) (5) هذا في المرة الأولى ، وقال ابن عطية : "بعثنا" يحتمل أن يكون الله أرسل إلى ملك تلك الأمة رسولا بأمره بغزو بني إسرائيل فتكون البعثة بأمر ، ويحتمل أن يكون عبر بالبعث عما ألقى في نفس الملك أي غزاهم).

واختلف المفسرون في هيئة القوم المبعوثون هل كانوا كفارا بدليل تسليط الله بختنصر عليهم ، وكذلك تسليط جالوت عليهم ، فقبل أن المرتين حصل فيهما التسليط من قوم كافرين

الإفساد الأول (جالوت) : (ذهب طائفة من المفسرين (ومنهم ابن عباس) إلى أن العباد الذين سُلِّطوا عليهم في المرة الأولى هم جالوت وجنوده، والذين هزمهم لاحقا جيش طالوت وداود عليه السلام.

الإفساد الثاني (بختنصر) : (يرى كثير من المفسرين أن بختنصر وجنوده هم الذين سُلِّطوا عليهم في المرة الأخرى، فقام بتخريب بيت المقدس وسبي اليهود إلى بابل (السي البابلي) ، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك في بيت المقدس إلا بعد احتلال فلسطين 1948 .

وجه المقارنة	جالوت (Goliath)	بختنصر (Nebuchadnezzar)
عاش في زمن النبي صموئيل (أو أشمويل) والملك طالوت، وقُتل على يد الفتى داود عليه السلام قبل أن يصبح ملكاً (حوالي القرن 11 قبل الميلاد).	عاش في زمن لاحق بكثير (القرن 6 قبل الميلاد)، أي بعد عهد داود وسليمان عليهما السلام بقرون طويلة.	
الهوية والقومية	كان قائداً عسكرياً وملكاً ل العمالة	كان إمبراطوراً ل الدولة البابلية الحديثة

34 هل اليهود المعاصرون هم أنفسهم بنو / <https://www.aljazeera.com/news/miscellaneous/7/7/2025/>

نهاية خطره
انتهى أمره بالهزيمة والموت قتلاً
نجح في اجتياح أورشليم وتدمير
هيكمل سليمان، وانتهت سلالة ملوك
بالمقلاع على يد النبي داود.
داود هناك في عهده.

وقيل أنه جائز كذلك أنهم كانوا قوماً مؤمنين بدليل تسليط الله نبيه محمد ﷺ عليهم كما في قوله (يسلط رسله على من يشاء من عباده) ، قال أبو حيان (قيل : كان المبعوثون قوماً مؤمنين بعثهم الله وأمرهم بغزو بني إسرائيل والبعث هنا الإرسال والتسليط)³⁵.

وعند بعض العلماء أن الأمرين حاصلين ، بمعنى تسليط الكافر وتسليط المؤمن عليهم ، وذلك حصل في زمن طالوت وجالوت ، كما ورد في سورة البقرة ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : "بعث الله عليهما في الأول جالوت ، فجاس خلال ديارهم ، وضرب عليهما الخراج والذل ، فسألو الله إن يبعث إليهما ملكاً يقاتلون في سبيل الله ، فبعث الله طالوت"³⁶.

وحصل - مرة ثانية - في زمن النبي ﷺ حيث استطاعوا أن يؤلبوا جميع القبائل العربية على النبي ﷺ وقبل بعثته كانوا يستفتحون على العرب بالنبي الذي سوف يأتي آخر الزمان ، وكانت لهم الريادة العلمية بين الأمم باعتبارهم أهل كتاب ، ولكنهم حاربوا النبي ﷺ ولم يتعاونوا معه ، فهزمهم الله تعالى في المدينة المنورة وأجلى يهود بني نضير وقينقاع وقريظة وخيبر ، وظل النبي ﷺ منتصراً عليهم حتى مات ، ولم تكن لهم قائمة بعد ذلك زمناً طويلاً .

وعند التحقيق يتبين أنه لم يظهر منهم الإفساد المقترن بالعلو في المرتين الأولين (زمن بختنصر) ، و(زمن جالوت) عندما سلط الله عليهم أعداءهم ، فقد حصل منهم الإفساد كتحرif التوراة دون حصول العلو لهم ، وإنما ظهر الإفساد والعلو منهم أيام رسول الله ﷺ حينما استطاعوا تأليف الأحزاب عليه ، فأجلاهم من المدينة ، وظهر مرة ثانية علوهم وإفسادهم بعد احتلال فلسطين 1948 ، والله أعلم.

قوله (..بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا..) قال الشعراوي (وبعض المستشرقين الذين يحاولون الطعن في القرآن الكريم يقولون أن كلمة عباد قد جاءت في وصف غير المؤمن في قوله تعالى : (أَأَنْتُمْ أَضَلُّنَّكُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ) [الفرقان : 17] نقول : إنكم لم تفهموا أن هذا ساعة الحساب في الآخرة ، وفي الآخرة كلنا عباد لأننا كلنا مقهورون فلا اختيار لأحد في الآخرة وإنما الاختيار البشري ينتهي ساعة الاحتضار ، ثم يصبح الإنسان بعد ذلك مقهوراً . فنحن جميعاً في الآخرة عباد ولكن الفرق بين العبيد والعباد هو في الحياة الدنيا فقط³⁷ .

³⁵ (البحر المحيط ج7 ص 325

³⁶ (تفسير ابن أبي حاتم ج9 ص 142

³⁷ (تفسير الشعراوي ج1 ص 94

ولا يزال المفسرون وأصحاب الرأي مختلفين في شأن تعيين هؤلاء العباد دون طائل أو فائدة عملية³⁸، فلو أراد الله تعيينهم لعينهم ولم يضع السياق مبهما ليفيد العموم والشمول، وهو ما ألمح إليه الشيخ محمد المنجد كما ذكرنا قوله سلفا

ففي الآية إيهام وعدم تعيين المقصود بقوله (عِبَادًا لَنَا) ولذلك فائدة البلاغية والبيانية تكمن في عدة أسرار لغوية وبلاغية، أبرزها :-

التحويل والتفخيم : إيهام الهوية وتنكير كلمة "عبادًا" يُقصد به تحويل أمر هؤلاء العباد وتفخيم قوتهم وبأسهم، وكأنهم خلق لا يُعرف كنه قوتهم ولا يُقدر قدرهم لشدة بطشهم.

العموم والشمول : ترك التعيين يفتح الباب ليشمل اللفظ كل من اتصف بهذه الصفة من القوة والبأس الشديد في أي زمان ومكان، دون حصر القصة في جماعة تاريخية بعينها (مثل بختنصر أو الآشوريين أو غيرهم)، مما يجعل الآية صالحة كقاعدة عامة وسنة إلهية جارية.

التركيز على الفعل لا الفاعل : فالعبرة في الآية ليست بـ "من" هم هؤلاء العباد، بل بـ "الفعل" نفسه وهو وقوع العقاب الإلهي وسنة الله في تسليط القوي على من أفسد في الأرض.

التعظيم بالإضافة : رغم التنكير والإيهام، جاءت إضافة العباد (عبادًا) إلى ضمير المتكلم العظيم (لَنَا) لتدل على أنهم ملككون لله وتحت طوعه ومشئته، وتسيرهم إرادته سبحانه لإنفاذ وعده، سواء كانوا مؤمنين أو كافرين، فهم عباد قهر وتسخير.

38 (يقول د. نصر فحجان - غزة - ولا نسايره فيما يرى كل المفسرين الذين قالوا بأن زوال الإفساد الأول لبني إسرائيل كان على يد ملك بابل وجنوده لم يفهموا من قوله تعالى: (عبادًا لنا) أنهم أهل إيمان وإسلام وصلاح، بل على العكس، فقد فهموا أنهم كفاؤ وثيئون.

ويقول الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير: (والمقصود بعباد الله هنا الآشوريين)، ومعلوم أن الآشوريين كانوا من أهل الشرك. وقوله تعالى: (لَنَا) هو عبارة عن الضمير (نا) المتصل بحرف الجر (لِللَّام)، وهو تركيب لا يفيد التزكية والامتداح والتقريب، بل يفيد الملكية، فقوله تعالى: (عبادًا لنا) أي: إيتهم مملوكون لنا، ويتصرفون وفق مشيئتنا، ومن صفاتهم أنهم عبادٌ أولو بأس شديد، أما التزكية والامتداح والتقريب، فنجد في الضمائر المتصلة بالأسماء في بعض الأحيان مثل: (بعيده) في قوله تعالى مقرَّبًا نبيّه محمدًا صلى الله عليه وسلم؛ (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً)، ومثل: (عبدا) في قوله تعالى عن النبي داود عليه السلام ممتدًا وشاكراً: (اصبر على ما يقولون واذكر عبدا داود ذا الأيد إنه أواب)، وكما في قوله تعالى عن عباده المتوكلين على الله تعالى فلا يجعلون للشيطان سلطاناً عليهم: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين).

وإن قوله تعالى: (عبادًا لنا) لا يعني أنهم مؤمنون بالضرورة، للأسباب التالية: أولاً: وردت كلمة (عباد) في سياقات عديدة في القرآن الكريم، ومنها ما يدل على فسق هؤلاء العباد أو كفرهم، كما في الآيات التالية: أ- (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل)، وواضح من الآية أنهم عباد ضالون، ولا يقول أحد بأنهم مؤمنون أو مهتدون.

ب- (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) فهم مسرفون على أنفسهم بالمعاصي. ت- (نهدي به من نشاء من عبادنا)، فهناك عبادٌ لم تحدث لهم الهداية، فهم ليسوا مؤمنين، ولفظ العباد في الآية يشمل غير المهتدين. ث- (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين)، فالذين سيُبعثون الشيطان هم عبادٌ أيضاً ولكنهم غاوين، ولا يقول أحدٌ بصلاحهم أو تقواهم، وذلك باعتبار الاستثناء متصلاً غير منقطع، أي أن ما بعد (إلا) من جنس ما قبلها.

ثانياً: جاء في الحديث الصحيح الذي يرويه النّوّاس بن سَمْعَانَ رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم: (... إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ عِيسَى: إِيَّيْ قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَخِي يَقَاتِلُهُمْ، فَخَرَّزْتُ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ...)، صحيح مسلم 3937، أي أنّ الله تعالى قد أخرج ياجوج ومأجوج الذين لا يقوى أحدٌ من البشر على قتالهم ومواجهتهم، لكنهم وقوتهم، ومعلومٌ لكل المسلمين أنّ ياجوج ومأجوج ليسوا مسلمين أو مؤمنين، ولكنهم عبادٌ لله كما في الحديث.

ثالثاً: جاءت صفة البأس الشديد في غير سورة الإسراء لغير المؤمنين، كما في قول الله تعالى: (قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين)، فلا تقتصر صفة البأس الشديد على المؤمنين، فقد اتّصف بهذه الصفة جنود ملكة سبأ الكافرون الذي كانوا يسجدون للشمس كما في الآية السابقة، وهو ما نرده أيضاً في قول الله تعالى في حق جنود نبوخد نصر الوثنيين: (بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد).

رابعاً: ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد، أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص ومن معه من الأندلس: (واعلموا أنّ عليكم في مسيركم حفظاً من الله، يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منه، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا: إنّ عدونا شرٌّ منا فلنْ يُسلط علينا وإنْ أسانا، فزُبْ قوم سلط عليهم شرٌّ منهم، كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفاؤ المجوس، فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً).

إنّ استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالآية من سورة الإسراء يشير إلى أمرين: أ. يعلم عمر رضي الله عنه أنّ الله تعالى قد سمى المبعوثين على بني إسرائيل لإزالة إفسادهم عباداً له، كما في قوله عزّ وجلّ: (عبادًا لنا)، ولكّنه في الوقت نفسه يقول عنهم: (كفرة المجوس).

ب. يعلم عمر رضي الله عنه أنّ الإفساد الأول لبني إسرائيل كان قبل الإسلام، ولذا فهو يستشهد بما حدث لبني إسرائيل لما أتوا مساحظ الله. ومما سبق يتضح لنا أنّ المقصودين بقوله تعالى: (عبادًا لنا) لم يكونوا مؤمنين، بل كانوا أهل وثنية وكفر وشرك، وهذا يؤكد القول بأنّ الإفساد الأول لبني إسرائيل في فلسطين قد حدث قبل الإسلام، ولم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، أو في عهد عمر الخطاب رضي الله عنه، أو بعد ذلك.

إنّ قوله تعالى: (عبادًا لنا)، يدلّ على أنّهم خاضعون لإرادة الله تعالى فيهم، ليكونوا آلةً تأديبية وتهذيبية لمن يخرجون عن الهداية، ويقعون في الفساد والإفساد، ولذا كانوا من أهل البأس الشديد، والقوة، والشجاعة، والجرأة، وهو ما يُستأنس به في ترجيح القول بأنّ هؤلاء العباد هم البابليون والآشوريون، وأنّ العامل المشترك بينهم وبين العباد الذين يسوءون وجوه بني إسرائيل في وعد الآخرة هو أنّهم عبادٌ أولو بأس شديد، ولا يمتنع أنّ يكونوا في الوقت نفسه عباداً مؤمنين، وهو ما نراه بأعيننا، ونشاهده بأنفسنا في الأرض المباركة.

قوله (..أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ) (5) فعلى الرأي الذي يجعل العباد المسلطين عليهم هم المؤمنون ، ويجوز غيرهم من غير المؤمنين ، لكن في وصف المؤمنين - عند التعيين - بأنهم عباد لله أولوا بأس شديد ، يصف بدقة حال المجاهد في سبيل الله ، وهكذا لابد أن يكون ، فهو ذو بأس شديد ، وليس يكتفى بمجرد القوة والصلابة والإباء ، بل لابد من الشدة لتحقيق مزيد من القوة والصلابة والإباء .

ولذلك فإن عباد الله الموصوفون في الآية هم الذين يسلطهم الله على بني إسرائيل - الذين طالما أشعلوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا - وهم صحابة رسول الله ﷺ من قبل ، وهم الفئة المربطة على الحق بعدهم ، حيث سلط الله النبي وأصحابه عليهم وأعطاهم قوة شديدة تكفي لهزيمة بني إسرائيل وتنزيلهم من علوهم الكبير .

والدليل على أنهم أولى بأس شديد أنهم يجاهدون في حال الصحة والمرض ، الغنى والفقر ، وهذا لا يكون إلا لمن له بأس شديد ، ففي الحديث عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ قَالَ كَانَ عَلِيٌّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَيْبٍ وَكَانَ رَمَدًا فَقَالَ - مُسْتَكْرًا- أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَخَرَجَ عَلَيَّ فَلَحَقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءَ اللَّيْلِ الَّتِي فَتَحَهَا اللَّهُ فِي صَبَاحِهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ أَوْ لِيَأْخُذَنَّ بِالرَّايَةِ عَدَا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوْ قَالَ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذَا نَحْنُ بَعْلِي وَمَا نَرْجُوهُ فَقَالُوا هَذَا عَلِيٌّ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّايَةَ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ) ³⁹.



كما روي أن عمرو بن الجموح كان أعرج شديد العرج وكان له أربعة بنون شباب يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا فلما أراد رسول الله ﷺ يتوجه إلى أحد قال له بنوه إن الله عز و جل قد جعل لك رخصة فلو قعدت فنحن نكفيك فقد وضع الله عنك الجهاد فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن بني هؤلاء يمنعون أن أخرج معك والله إني لأرجو أن استشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة فقال له رسول الله ﷺ أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد وقال لبنيه وما عليكم أن تدعوه لعل الله يرزقه الشهادة فخرج مع رسول الله ﷺ فقتل يوم أحد شهيدا) ⁴⁰.

قوله (..فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ) (5) قال الشنقيطي (هؤلاء العباد هم المسلمون) ، بدليل قوله سبحانه (جاسوا خلال الديار) ، فعن ابن عباس في قوله: (فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ) أي فمَشَوْا ⁴¹ ، ولم يقل (خلال البيوت) ، أي يمشون مطمئنين في الطرقات والشوارع بعدما هزموا بني إسرائيل ، ودون أن ينتهكوا حرمة ساكنيها ، وتلك هي أخلاق الإسلام ⁴² ، أي من دخل بيته كان آمنا ، أما من يخرج من بيته شاهرا سيفه وقت الحرب فهو محارب ، ويجب قتله ،

³⁹ (رواه مسلم ج12 ص 133 رقم 4424)

⁴⁰ (رواه البيهقي في سننه الكبرى ج9 ص 24 رقم 17599 وصححه الألباني : فقه السيرة ج1 ص 260 وقال سنده حسن إن لم يكن مرسلا وقد روى بعضه أحمد بسند صحيح)

⁴¹ (تفسير ابن أبي حاتم ج9 ص143 رقم 13565 / تفسير الطبري ج17 ص 366)

⁴² (المحاضر رانعة في تفسير سورة الإسراء : الشيخ المختار أحمد بن سالم الشنقيطي 2016/1/30)

قال الزجاج فجاسوا خلال الديار أي (فطافوا في خلال الديار ينظرون هل بقي أحد لم يقتلوه) ، وفي الصحاح (جاسوا خلال الديار أي تخللوا فطلبوا ما فيها كما يجوس الرجل الأخبار أي يطلبها) ⁴³.

وقد حصل ذلك ومضى بعدما نزلت السورة في العهد المدني كما ذكرت كتب السيرة، فإذا كانت هذه هي سنة الأولين فإنها كذلك لا بد أن تكون أخلاق الآخرين المتبعين لسنن من قبلهم من الصالحين .

فيهود المدينة كانوا على أربعة فرق (بنو قينقاع ونضير وقريظة وخيبر) وجميعهم أجلاهم النبي ﷺ من المدينة لخير ثم اقتحم عليهم خيبر وصالح أهلها

أولا : حصار بني قينقاع : حاصرهم المسلمون 15 ليلة حتى استسلموا، ودخل المسلمون ديارهم وحازوا أسلحتهم وقاموا بإجلائهم.

ثانيا بنو النضير : حاصرهم النبي ﷺ وأمر بقطع نخلهم وتحويله لتوطين عزمهم، فجاس المسلمون ديارهم ونزلوا على حكم الجلاء، فصالحوا النبي ﷺ على أن يخرجوا بنفوسهم ونسائهم وذرائعهم، وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح، فجعلوا يترددون في بيوتهم يخبرونها بأيديهم وأيدي المؤمنين.

ثالثا : دخول ديار بني قريظة : بعد غزوة الخندق ونقض بني قريظة للعهد، ضرب المسلمون عليهم حصاراً شديداً دام 25 ليلة.

وتحلل المسلمون حصونهم ودخلوا ديارهم بعد أن نزل اليهود على حكم سعد بن معاذ، وتمت السيطرة الكاملة على أموالهم، وديارهم، وسلاحهم.

رابعا : فتح حصون خيبر : كانت خيبر عبارة عن مجامع لليهود ، وقد ارتحل إليهم يهود بنو قينقاع وبنو نضير ومن بقي من قريظة ، وكانت كثيرة الحصون ،(حصن ناعم، وحصن القموص، وحصن الوطيح، وحصن السلام) ، فكانت محصنة للغاية ، فلما توجه إليهم النبي ﷺ انتقل من حصن إلى حصن، وواقتحمها حصنا حصنا الواحد تلو الآخر بعد معارك ضارية وحصار مستمر، حتى تخللوا جميع ديارهم ومزارعهم، وصالحوهم في النهاية على البقاء لشطر الثمر قبل أن يجلبوا عنها نهائياً في عهد عمر بن الخطاب ، وذلك لما خانوا العهد وعدوا على ابنه عبد الله .

والعادة شاهدة على أن الملوك إذا دخلوا أهل قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، ولكن أهل الدين والإيمان إذا دخلوا قرية فاتحين لها اقتدوا بنبيهم محمد ﷺ فيدخلونها على هيئته ﷺ كما دخل مكة فاتحاً ، فعن أنس قال (دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعا) ⁴⁴، وعن أبي مسعود قال (أتى النبي ﷺ رجل فكلّمه فجعل يُرعدُ فرائضه فقال له هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ) ⁴⁵ .

⁴³ (لسان العرب ج6 ص 43

⁴⁴ (رواه الحاكم في المستدرک ج3 ص 49 رقم 4365 ، البداية والنهاية ج4 ص 335

⁴⁵ (رواه ابن ماجه ج10 ص 48 رقم 3303 ورواه الألباني : السلسلة الصحيحة ج4 ص 496 رقم 1876

قوله (... وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا) (5) فالتصديق بهذا الوعد من الإيمان بالله ، قال الرازي ذلك أن (قضاء الله بذلك قضاء جزمًا حتمًا لا يقبل النقض والنسخ)⁴⁶.

فالله قد يسلط عليهم وعلى غيرهم عباده المؤمنين ، وقد يضرب الظالمين بعضهم ببعض ويسلطهم على بعض ، وتلك هي سنة الله الكونية

فقد ثبت في التاريخ القديم تسليط الله عليهم جالوت وجنوده ، وكذلك بختنصر البابلي...الفرس والرومان... ، جاء في مجلة الجامعة الإسلامية: "فسلط الله عليهم الآشوريين والفراعنة المصريين والبابليين واليونانيين والبطالسة المصريين الوثنيين ثم الرومان الوثنيين والنصرانيين قديمًا وحديثًا لقرون عديدة.

وفي التاريخ الحديث كان اليهود يُسامون سوء العذاب في الدول الأوروبية النصرانية وغيرها فمثلاً اضطهدوا في بريطانيا سنة 1298م حينما أمر الملك ادوارد الأول بطرد اليهود من جميع البلاد البريطانية، وفتك البريطانيون باليهود فتكًا ذريعًا.

، وفي فرنسا اضطهدهم الملك لويس التاسع، وفي عهد الملك فيليب الجميل سنة 1306م، وفي سنة 1321م نكل بهم الفرنسيون وطردوهم، وأيضاً في سنة 1582م طردوا مرة أخرى. وفي إيطاليا حاربهم بابوات الكنيسة الكاثوليكية حرباً شعواء، وفي سنة 1540م ثار عليهم الإيطاليون فقتلوهم وطردوهم.

وفي روسيا حدثت مذابح لهم في عهد الحكم القيصري النصراني خاصة في سنة 1881م، وسنة 1882م، وسنة 1902م حيث قتل اليهود بالآلاف.

وفي ألمانيا ظل القتل والطرد باليهود قائماً في القرنين الثاني عشر والرابع عشر الميلاديين، وكان آخر ما لاقوه من عذاب وتقتيل وتشريد على يد هتلر النازي إبتداء من توليه الحكم في ألمانيا 1933م إلى 1945م .

قوله (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا) (6) وكذلك عادت الكرة لبني إسرائيل في زمننا مرة أخرى حيث أمدهم الله بالأموال والبنين ، فجاءهم مدد من كثير من بلدان العالم وجنسيات مختلفة من روسيا وأمريكا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا.... الخ ، وكانت البداية عندما هاجروا إلى دولة فلسطين في عهد الخليفة عبد الحميد الثاني آخر خلفاء الدولة الإسلامية ، رغم أن السلطان أصدر عدة فرمانات (قرارات سلطانية) سنة 1887 تمنع منعاً باتاً هجرة اليهود الأجانب إلى فلسطين واستيطانهم فيها، وشدد على إبعادهم أو توجيههم لأقاليم أخرى لكنهم استطاعوا التسلل لأرض فلسطين والتحايل والهجرة إليها واستيطانها ، حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى 1914-1918 ثم الثانية 1939-1945 وترتب على ذلك تقسيم البلاد العربية والإسلامية وتمزيقها وتسليط الأمم عليها ، ثم احتلال دولة فلسطين 1948 م .

إذن المقصود بكثرة النفير القدرة على قلبب الدول والجماعات على المسلمين ، وهو ما حدث تاريخياً ، وذلك إما عن طريق الضغط الاقتصادي أو السياسي أو الاتفاقات العسكرية... الخ ، وهذا يدل على قوة تأثيرهم

الإعلامي ، وكثرة الروابط السياسية ، واختراقهم لمعظم الجيوش والمنظمات العسكرية بطريق خفي ، لتكون القرارات المؤثرة فيها بأيديهم ⁴⁷ .

فالأية أشارت إلى سر قوة بني إسرائيل ، وهي أنهم أكثر نفيرا ⁴⁸ ، ولم يقل سبحانه أكثر أموالا وأولادا ، وإنما أكثر نفيرا ، أي أنهم يحركون أموال غيرهم وأبناء غيرهم من الأمم ويؤلبونهم ضد الإسلام كما كانوا يفعلون في زمن النبي ﷺ ، فتكون الكثرة من هذه الجهة ⁴⁹ ، وقد أخبر النبي ﷺ بذلك الضعف الذي يصيب المسلمين عندئذ فقال

﴿يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَّاعِيَ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَّاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا

فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟

قَالَ (بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُفَاءٌ كَغُفَاءِ السَّيْلِ

47 (يقول د. زيد بن محمد الرماني عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والأكاديمي الاقتصادي في كتابه "اليهود يحكمون العالم.. رؤية اقتصادية" (الشركات متعددة الجنسيات تسيطر سيطرة تامة على نصف تجارة العالم تقريباً إذ تقوم بتسويق 90% من أهم السلع الأساسية التي تصدرها بلدان الجنوب الفقيرة بينما تسيطر الحكومات الصناعية على معظم نصف التجارة الدولية الثاني، وتبين خلال عشر سنوات مضت أن الشركات المرابية استدرت 2.5 دولار مقابل كل دولار واحد وظفته في البلدان الفقيرة وتعتبر الشركات عابرة القارات أحد أرقى أشكال الاستثمارات المعاصرة للرأسمالية وقد بدأ نشاطها بعد الحرب العالمية الثانية والمعايير الذي يسيطر عليها أو تقلصه معيار حجم الإنتاج الدولي ويقول تقرير منظمة الاونكتاد أن 15 شركة فقط تتحكم في 90% من تجارة القطن العالمية وثلاث شركات تتحكم في 75% من تجارة الموز، وخمس شركات تتحكم بـ 75% من تجارة الكاكاو، وست شركات تتحكم بـ 90% من تجارة التبغ والدخان وان مجمل خسائر الدول النامية بسبب تحكم هذه الشركات يقدر بحوالي مائة مليار دولار سنوياً وتقوم الشركات المتعددة الجنسيات بالتحكم في 85% من تجارة المواد الغذائية المصدرة للعالم الثالث. وهناك شركات أمثال "جنرال موتورز" و "شل" واسو واي بي أم للحاسبات، وفيليبس للمعدات والأجهزة الإلكترونية بلغت في تأثيراتها وضغوطها إلى درجة أنها تستطيع تغيير سياسات أو إلغاء قرارات حكومية وهي على درجة من الضخامة كبيرة ولا تنتمي إلى بلد معين ومبيعات الواحد منها تزيد على الإنتاج الوطني لواحدة من الدول الأوروبية ومعدلات نمو هذه الشركات سريع جداً. والشركات المتعددة الجنسيات تشكل اليوم قوة اقتصادية عظيمة فإن إنتاجها يبلغ نحو ضعف معدل نمو الاقتصاد الداخلي للدول الصناعية وقدر باحثون في جامعة هارفارد القيمة المضافة التي حققتها الشركات المتعددة الجنسيات خلال عشرين عاماً واحداً فقط بـ 500 مليار دولار أي خمسين في المائة من الإنتاج الوطني لكل من دول العالم.

رابط المادة: <http://iswy.co/e2fvs> :

48 (اقرأ أيضاً مقال بعنوان 16 عائلة تسيطر على اقتصاد اسرائيل : -<https://www.youm7.com/story/2008/5/14/16->

49 (أحمد شحاتة رئيس قسم البحوث والتحليل الفني لشركة النوران لتداول الأوراق المالية، في مقال له بعنوان "عائلة روتشيلد" إن بداية محاولات "عائلة روتشيلد" للسيطرة على الاقتصاد ترجع للحروب الصليبية، لكن النجاح الحقيقي لها يرجع للقرن التاسع عشر، و"الذي قام خلاله تاجر العملات "ماجيراتيل أمشيل" بجمع أولاده الخمسة، ليؤكل لكل منهم مهمة السيطرة على الاقتصاد العالمي، باسم الحكومة اليهودية العالمية، عن طريق تأسيس خمسة فروع لمؤسسته المالية باسم "عائلة روتشيلد" في (انجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والنمسا) ومن خلال سرعة تناقل المعلومات وتبادل الخبرات فيما بينهم، وعقد الاجتماعات الدورية السرية، تكونت ثرواتهم الضخمة أثناء الحرب النابليونية، عن طريق تهريب السلع بين إنجلترا وأوروبا وتحويل الأموال بين إنجلترا وحلفائها. وفي صباح يوم 18 يونيو 1815 وسط شعور مفرط بالتفك في تقدم "نابليون" في حربه ضد الحلفاء قام "ناتان روتشيلد" الذي كان من نصيبه فرع لندن بجمع أوراق سندات وأسهمه وعقاراته بحقيبة ضخمة مرتدياً ملابس رثة، ليقف ميكراً بأعين زائغة أمام أبواب البورصة، حتى يشاهده كبار المستثمرين ويسألونه عن الأمر، ليجيبهم الصمت، في انتظار فتح البورصة لأبوابها، ليهربوا مسرعاً محاولاً بيع جميع ممتلكاته، إلا أن ثقة أصحاب رؤوس الأموال الضخمة في خبرته المالية وشبكة معلوماته لم تمكنه من إتمام عمليات بيعه، نتيجة لتدافع أمواج الذعر والرغبة في التخلص من الأسهم، بسبب انتشار أنباء هزيمة بريطانيا العظمى، وروسيا في الحرب مع فرنسا، حتى أسفر كل ذلك عن انهيار سوق لندن المالي متأثراً بتواتر الأنباء عن قرب اجتياح نابليون لإنجلترا. وحدثت المفاجأة، فأتت أمواج الذعر البيعية في بورصة لندن، كان المشتري الحقيقي هم العملاء السريين لـ "ناتان" في حالة من التكم والسرية التامة، وعلى الصعيد الآخر كان "جيمس روتشيلد" -المسئول عن فرع المؤسسة في فرنسا، يحاول الشراء، وعملاته السريين يقومون بالبيع، ليصبح ذلك هو حال أسواق المال منذ نشأتها وحتى الآن! "ط-سرف واحمد يعرّف الحقيقة ويبيع السوء لهم ليأبى الأط-سراف". ليكون الحال في بورصة لندن طلبات كثيرة للشراء، دون أية عرض للبيع، عقب إعلان الحقيقة بانتصار "دوق ويلنجتون" الإنجليزي، وفي باريس تحول "جيمس" إلى المضاربة على الخزينة الفرنسية، لتتولد خلال سويغات أرباح هائلة نتيجة ارتفاعات قياسية للأسهم والسندات تجلس بها "آل روتشيلد" على إمبارطورية المال، حيث وصلت التوقعات ع-بات عام 1818 ببل-سرف واحمد يعرّف الحقيقة ويبيع السوء لهم ليأبى الأط-سراف. واحتوت الفرحة العارمة بالنصر خدعة "آل روتشيلد" الكبرى، والتي حينها لجأت الحكومة الفرنسية المهزومة إلى الاقتراض من "جيمس"، مقابل سندات البنك المركزي، واحتياط-سات فرنس-سات من الم-ذهب والعمل-سات. وختم شحاتة هذه الحكاية، قائلاً: "من هنا بدأت نظرية الهدم والبناء في الاستثمار، (فولاً تجارة للفرين، ثانياً إقراض المهزوم، ثالثاً إعادة إعمار المرافق المدمرة، أخيراً وليس آخراً الحصول على المكافآت من المنتصر) لتصبح كل الأطراف مدينة بالولاء". هذه هي البداية والقصة مستمرة فمالت الأسواق تعيشها حتى الآن! <https://www.youm7.com/story/2011/6/9/>



وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ

فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟

قَالَ (حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)⁵⁰.

قوله (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا) هذه الآية تفتح باباً للتوبة لبني إسرائيل ، لعلمهم بعد تمكينهم هذا أن يرشدوا ويحسنوا العمل ويؤمنوا بالله ، ولعلها تفتح بوجه خاص باباً لتوبة من ارتدع منهم عن الإساءة وحسن إسلامه وعمله وإن ظل قومه في ضلال .

يقول ابن جرير الطبري (يقول تعالى ذكره لبني إسرائيل فيما قضى إليهم في التوراة (إِنْ أَحْسَنْتُمْ) يا بني إسرائيل، فأطعتم الله وأصلحتهم أمرهم، ولزمتهم أمره ونهيهم (أَحْسَنْتُمْ) وفعلتم ما فعلتم من ذلك (لَأَنْفُسِكُمْ) لأنكم إنما تنفعون بفعلتكم ما تفعلون من ذلك أنفسكم في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فإن الله يدفع عنكم من بغاكم سوء، وينمي لكم أموالكم، ويزيدكم إلى قوتكم قوة ، وأما في الآخرة فإن الله تعالى يثيبكم به جنانه (وَإِنْ أَسَأْتُمْ) يقول: وإن عصيتم الله وركبتم ما نهاكم عنه حينئذ، فألى أنفسكم تسيئون، لأنكم تسخطون بذلك على أنفسكم ربكم، فيسلط عليكم في الدنيا عدوكم، ويمكن منكم من بغاكم سوءاً، ويخلدكم في الآخرة في العذاب المهين)⁵¹.

والان المسجد الأقصى ليس في حوزة المسلمين ، وهي إشارة إلى علو اليهود وضعف المسلمين ، فهل أحسن اليهود أم أسأؤوا ؟ حتى نعلم اقتراب وعد الآخرة ، أي أن الله تعالى يجري قدره في هذه المرحلة بحسب الإحسان والإساءة ، ليعلم الناس جميعاً أن ما كُتب على بني إسرائيل وقُضي هو قضاء كوني قدرتي ، لعلم الله تعالى السابق أن الإساءة سوف تحصل منهم ، وليس الإحسان ، ومع ذلك فهم مخبرون - كأفراد - بين الإساءة والإحسان ، فلم يكتب الله عليه الإساءة ليكونوا مجبرين على الإساءة ، ولكنه سبحانه جعل في استطاعتهم الإحسان كأفراد ، ولكنهم اختاروا - ككيان - الإساءة.

⁵⁰ (رواه أبو داود ج 11 ص 371 رقم 3745 وصححه الألباني : الجامع الصغير ج 1 ص 1415 رقم 14143

⁵¹ (تفسير الطبري ج 17 ص 371

قوله (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتَبِيرًا) (7) هذا وعد من الله تعالى أن يعلو المسلمون على اليهود قبيل اقتراب يوم القيامة ، يقول الشعراوي (إذا عدنا عبادا لله فسندخل المسجد ونتبر ما علوا تتيبرا)⁵².

(فالضمير في قراءة الجماعة (لِيَسُوءُوا) (واو الجماعة) يعود على العباد أولي البأس الذين جعلهم الله أداة لعقاب بني إسرائيل وإذلالهم، فنسب فعل "المساءة" إليهم مباشرة لأنهم هم المباشرون للعذاب والفتح ، فهم الذين استعملهم الله ليدبقوا المسيئين جزاء إساءتهم ، قال تعالى (يُجْرَبُونَ بِيُودِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ) (الحشر 2) ، وقال (وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الحشر 6) ، قال رسول الله ﷺ (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلُهُ فِي الْجَنَّةِ)⁵³.

وتلك الإساءة لن تحدث لهم دون قتال يدور بين المسلمين واليهود ، فعن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (تُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ فَتُسَلِّطُونَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَقُولُ الْحَجَرُ يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَأَيْيَ فَاقْتُلْهُ)⁵⁴، وهذا القتال لن يحدث إلا بعدما تنكشف كل خدع اليهود ، ولا يجدون ستارا يتوارون وراءه ، وقد خذلتهم الأمم وبطلت تحالفاتهم معهم ، هنا لا يجدون غير الشجر والحجر يتوارون وراءه من المسلمين ، ولكن الله ينطقه يوم القيامة ، ليخبر بمن وراءه .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ إِلَّا الْعَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ)⁵⁵.

وأما عن وقت انقلاب الكفة عليهم ، فذلك يرجع إلى الوقت الذي يفقدون فيه سر قوتهم الذي سلف التنويه عنها من أنهم له قدرة على تأليب الناس وحشدتهم لنصرتهم ، ومن جهة أخرى يحصل ذلك بالتزامن من إفاقة المسلمين من غفلتهم واستعدادهم لهذا اليوم واكتمال الإعداد لذلك بإذن الله .

(إذ لم تعد الحروب تتخذ صور الشرف بين الجيشين كما كان في الماضي، بحيث يتلاقيان بسيفيهما في أرض المعركة وتكون الغلبة لمن يغلب، وإنما تغير أسلوبها، فأضحى العدو يتخفى بعدة ستائر، فإذا سقط ستار تبعه سقوط ستار آخر، حتى يحين وقت المواجهة؛ فساد ورشوة، ثم بلطجة وإجرام، ثم بلطجة مدنية، ثم بلطجة عسكرية، ثم بلطجة دولية، ثم اليهود؛ (أشدُّ الناس عداوةً للذين آمنوا)، كما أخبرنا بذلك القرآن، لن تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، ويختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر... فالمواجهة إذاً لا بد منها، وسوف تكون، ولا شك في ذلك، يقول الله - عز وجل - : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزُدَّوَكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ (البقرة: 217) ؛ أي إنهم سوف يبدلون كل ما في استطاعتهم حتى يزُدُّونا عن ديننا؛ ولذلك فإن المواجهة مع العدو الحقيقي أمرٌ محتتم، وإن كنا لا نرغب فيه اليوم ولا الغد، إلا أنه سيكون، يقول - سبحانه - : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا

⁵² (تفسير الشعراوي ص 2113

⁵³ (رواه أبو داود ج 12 ص 312 رقم 4081 وصححه الألباني : صحيح وضعيف أبي داود ج 10 ص 203

⁵⁴ (رواه البخاري ج 11 ص 427 رقم 3326

⁵⁵ (رواه مسلم ج 14 ص 140 رقم 5203

وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴿ (البقرة: 216)، الفكرة ليست في وقت هذه المواجهة، الفكرة ماذا أعددت لها؟ أو بمعنى آخر: هل أعدت الأمة لهذه المواجهة اثني عشر ألف مؤمن حق، يقول النبي ﷺ (خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولا يُغلب اثنا عشر ألفاً من قلة)⁵⁶، وإذا وُجد هؤلاء، فهل أنت منهم أم من غيرهم؟ ويوم أن تعد الأمة لهذه المواجهة اثني عشر ألف مؤمن حق، فاعلم يقيناً أن كل الأفعنة والستائر التي تسرّ بها العدو قد سقطت)⁵⁷.

وعندئذ - أي عند حصول المواجهة - فسوف يحصل ثلاثة أمور : (يبدو الخزي في وجوههم - تقام شعائر الله في المسجد الأقصى - تهدم أوثانهم ومذابحهم للشيطان) على النحو التالي :-

الأمر الأول : ظهور خزي بني إسرائيل على وجوههم

قوله (.. لَيْسُوا بِأَعْيُنِنَا) أي: تَحْزَنُ وَجُوهُكُمْ ، وَسُوءُ الْوَجْهِ بِإِدْخَالِ الْعَمِّ وَالْحُزْنِ ، وهذا نتيجة فقدهم قوتهم وتحالفاتهم ، ومنه قوله (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ) (الملك/27) ، وذلك دليل على القهر والإهانة ، كما قال سبحانه (لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلَوْكُمْ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ (111) ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ أَتَيْنَ مَا تُخْفُونَ إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (آل عمران/112)

الأمر الثاني : إقامة شعائر الإسلام في المسجد الأقصى

قوله (وَلْيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ..) يرى بعض العلماء أن دخول عباد الله المؤمنين إلى المسجد (الأقصى) منتصرين كما دخلوه أول مرة كان (في عهد الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب)⁵⁸، قال ابن عاشور (ولم تخرج أورشلیم - القدس - من حكم الرومان إلا حين فتحتها المسلمون في زمن عمر بن الخطاب سنة 16 صلحا مع أهلها وهي تسمى يومئذ " أيلياء ")⁵⁹.

⁵⁶ (رواه الترمذي ج6 ص 50 رقم 1476 وصححه الألباني : صحيح وضعيف الترمذي ج4 ص 55 رقم 1555

⁵⁷ (مقال للكاتب بعنوان سقوط الأفعنة ، ويتخذ منكم شهداء /https://www.alukah.net/culture/0/57405/

⁵⁸ (نايف بن علي الشحود : موسوعة الراد على المذاهب الفكرية المعاصرة ج6 ص 292 ، تفسير الشعراوي ج1 ص 170 ، م. عبد الله بن علي صغير : الصراع الإسلامي الصهيوني بنو إسرائيل في القرآن الكريم ص 48

⁵⁹ (بعد أن عاد اليهود إلى أورشلیم وجدوا ملكهم ومسجدهم في زمن " داريوس " وأطلق لهم التصرف في بلادهم التي عليهم عليها البابليون وكانوا تحت نفوذ مملكة فارس فمكثوا على ذلك مائتي سنة من سنة 530 إلى سنة 330 قبل المسيح ثم أخذ ملكهم في الاحتلال بهجوم البطالسة ملوك مصر على أورشلیم فصاروا تحت سلطانهم إلى سنة 166 قبل المسيح إذ قام قائد من إسرائيل اسمه " ميثيا " وكان من اللاويين فانتصر لليهود وتولى الأمر عليهم وتسلسل الملك بعده في أبنائه في زمن مليء بالفتن إلى سنة أربعين قبل المسيح . دخلت المملكة تحت نفوذ الرومانيين وأقاموا عليها أمراء من اليهود كان أشهرهم " هيرودس " ثم تمردوا للخروج على الرومانيين فأرسل قيصر رومية القائد " سيبتيانوس " مع ابنه القائد " طيطوس " بالجيوش في حدود سنة أربعين بعد المسيح فخربت أورشلیم واحترق المسجد وأسّر " طيطوس " نيفا وتسعين ألفا من اليهود وقتل من اليهود في تلك الحروب نحو ألف ألف ثم استعادوا المدينة وبقي منهم شرذمة قليلة بها إلى أن وافاهم الأمبراطور الروماني " أدريانو " فهدمها وخربها ورمى قناطر الملح على أرضها كيلا تعود صالحة للزراعة وذلك سنة 135 للمسيح ، وبذلك انتهى أمر اليهود وانقرض وتفرقوا في الأرض (التحرير والتنوير ج1 ص2432)

وهكذا كان عام 135م نهاية للوجود اليهودي في أرض بيت المقدس، وانتهت علاقة اليهود بفلسطين سياسياً وسكناً أي أنه كان الخروج الأخير، وبقيت محرمة على اليهود حتى الفتح الإسلامي أي خمسة قرون، إلا ما منحته أجيال اليهود من القنوم إلى آثارهم كي يقوموا بالبكاء والنواح على مجدهم الزائل عند حائط البراق (المبكى).

جاء في سيرة ابن حبان (خرج عمر بن الخطاب وخلف عثمان بن عفان على المدينة فلما قدم الشام نزل بالجابية فقام فيها خطيباً لهم ثم أراد عمر الرجوع إلى الحجاز فقال له رجل من اليهود : يا أمير المؤمنين ! لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك إيلياء ، فبينما عمر كذلك إذ نظر إلى كردوس خيل مقبل فلما دنوا من المسلمين سلوا السيوف فقال عمر : هم قوم يستأمنون فآمنوهم فأقبلوا وإذا هم أهل إيلياء فصالحوه على الجزية وفتحوها له وكتب إلى عمر كتاب عهد بذلك ، ورجم بالجابية امرأة أقرت على نفسها بالنزاع ثم رجع إلى المدينة⁶⁰ ، وفي ذلك دليل على أنه أقام شرع الله قبل أن يعود إلى المدينة المنورة .

الأمر الثالث : هدم وثنية بني إسرائيل

قوله (وَلْيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمَا تَتَّبِعُوا) أي ليتبرؤا عظمة بني إسرائيل وعلوهم في الأرض ، وفي هذه الآية قد تعلقت كلمة التتبر بما علوا- وفيها دلالة على أنّ التتبر يتعلق بما يعلنون به ، فيتكسر مقامهم ويزول اعتلاؤهم وسعة عيشهم⁶¹ ، ومنه قوله (وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا) [الفرقان : 39] أي أوضعناهم وكسرنا حدّهم وصولتهم وأهلكناهم- من عاد وثمود وأصحاب الرسّ ، ومنه قوله (إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّوْنَ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأعراف : 139] أي إنّ ما فيه عبدة الأصنام من العقيدة والقول يتكسر ويزول وليس بحق.

وفي ذلك دلالة على وجوب هدم أصنام الشرك ومعالم الكفار التي هي مقر لعبادة الشيطان وتقديم القرابين له



محاولة لبناء هيكل سليمان المزعوم



محاولة جماعات الهيكل ذبح القرابين داخل القدس

وهذا هو أول ما فعله النبي ﷺ حين دخل مكة حيث هدم الأصنام التي حول الكعبة ، فعن أبي الطفيل قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها "العزى"-صنم يعبد المشركون- فأثاها خالد وكانت على ثلاث سمرة ، فقطع السمرة وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال "ارجع فإنك لم تصنع شيئا" فرجع خالد فلما أبصرت به "السدنة" وهم حجبها -خدام الصنم- أمعنوا في الجبل -هربوا- وهم يقولون يا عزى ، فأثاها خالد فإذا هي امرأة عريانة ناشرة شعرها تحتفن التراب على رأسها -ظهر له الجني المختبئ في الصنم على هذه الصورة -فعممها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال تلك العزى⁶² .

60 (السيرة لابن حبان ج 1 ص 452
61 الشيخ حسن المصطفوي : التحقيق في كلمات القرآن الكريم ج 1 ص 405-407 ، المرجع الالكتروني للمعلوماتية :
https://mail.almerja.net/more.php?idm=34775
62 (رواه النسائي ج 6 ص 474 رقم 11547



قال العلماء في الشرح (المقصود : أن العزى اسم لشجرة كانت في ذلك الموضع ، وكان تعلق الناس في الحقيقة بتلك الشجرة ، وبالمراة التي كانت تخدم ذلك الشرك ، فلو قطعت الأشجار وبقيت المراة ، فإن المراة ستغري الناس مرة أخرى بما ستذكره لهم ، أو ما تحكيه لهم ، أو ما تجيب به مطالبهم عن طريق الجن ، فلا يكون الشرك قد انقطع ؛ ولهذا قال النبي ﷺ « تلك العزى » يعني : أن حقيقة العزى هي تلك المراة التي تغري الناس بذلك الشرك ، وإلا فهي شجرة)⁶³.

يقول الشيخ محمد عبد الكريم (كان المسجد الأقصى معبدًا وثنيًا أسموه (جوبيتار)، وذلك حين اعتنق الرومان النصرانية المخرفة في عهد الامبراطور (قسطنطين) فهُدم المعبد الوثني وبقي مكان المسجد خاليًا من بناء مقام فيه بقية عهد الرومان النصارى ، وامتهن النصارى المسجد الأقصى واتخذوا مكانه كنيسة: فلم يكن للرومان النصارى اهتمام بالمسجد الأقصى، بل اتخذوا مكانه مزبلة، حتى إن المرأة كانت ترسل خرقة حيضتها من داخل الحوز لتلقى في الصخرة، وهو المكان الذي صُلب فيه شبيهه المسيح ابن مريم، فظنت اليهود والنصارى أنه المسيح عليه السلام (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينًا) ، فاتخذ اليهود مكان الصلب قمامة حتى إذا ظهر نصارى الرومان اتخذوه كنيسة هائلة بنتها أم الملك قسطنطين، واتخذوا مكان قبلة اليهود مزبلة، فلما فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بيت المقدس، وتحقق موضع الصخرة، أمر بإزالة ما عليها من الكناسة حتى قيل إنه كنسها بردائه)⁶⁴.

قوله (عَسَىٰ رُبُّكُمْ أَنْ يُزَحِّمَكُمْ ...) (8) لفظ (عسي) يؤكد على أن إرادة الله الشرعية هي وقوع الرحمة بكلا الفريقين ، لأن يهتديا للإسلام ، يقول سبحانه (وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ) ، وفي ذلك كذلك تأكيد على أن الصراع بين المسلمين واليهود قائم على محض إرادة الطرفين ، وليس هو محض إجبار قدري ، ولا

⁶³ (صالح بن عبد العزيز آل شيخ : التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص 171

64 (المسجد الأقصى.. وفقات وعبرات الشيخ محمد عبد الكريم*تقديم فضيلة الشيخ الدكتور عبد الحي يوسف- موسوعة البحوث والمقالات العلمية ص8

شك أن الله يعلم ذلك ، وأن قدره الكوني يعني أنه عليهم بما سيحصل ، لكن الطرفين لهما مطلق الحرية في أن يحسنا أو يسيئنا .

قوله (..وَأِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) فمن أحسن جزى بالإحسان إحسانا ، ومن أساء عادت الكرة عليه مرة أخرى وسلط الله عليه من يسيء وجهه ، أي (وإن عدتم إلي المعصية عدنا إلى العقوبة)⁶⁵ بمعنى (وإن عدتم إلى الإساءة عاد الله لتسليط عباده المؤمنين عليهم مرة أخرى ، هذا في الدنيا ثم تكون جهنم عاقبتهم في الآخرة لتحصرهم حصرا ، لتكون هلاكهم جميعا) ، وفي ذلك دليل على رهبتهم من المسلمين ، وأنهم يكونوا على هذا الحال من الترقب والخوف ، متى ظلت الخيانة متجذرة فيهم .

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ فَبَجَاءَهَا لَيْلًا وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَوْمًا بَلِيلٍ لَا يُغِيرُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يُصْبِحَ فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتْ يَهُودُ بِمَسَاجِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ مُحَمَّدٌ وَالْحَمِيسُ - يَعْنِي الْجِيْشَ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ (فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْدَرِينَ)⁶⁶ ، (فَطَهَّرَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ وَسَبَى الذَّرَارِيَّ)⁶⁷ .

والارتباط بين العودة للخيانة والعودة للعقوبة دليل على أن العقوبة في الإسلام لا تتجاوز المماثلة ، كما في قوله سبحانه (وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (البقرة/194) ، وقوله (وَأِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) (النحل/126)

65 (مجير الدين الحنبلي العلمي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ص 169

66 (رواه البخاري ج10 ص 96 رقم 2726

67 (رواه البخاري ج4 ص 1 رقم 895